القسم الاول

ابتكار الكتابة :

ان الافتراض العام المقبول حول اختراع الكتابة انها بدأت بسبب الحاجة الى توثيق ما يعطى او يؤخذ من مواد و سلع مختلفة بدلا من الاعتماد على الذاكرة .

فبعد ان ظهرت المدن و ازدادت الاعمال خصوصا بعد نشوء المعابد و قيامها باستلام القرابين و النذور و صرفها لها لتلبية الاحتياجات اليومية ، فبمرور الزمن توسعت المدن و تطورت الحياة و ازداد عدد السكان فإزدادت مدخولات و مخرجات المعابد زيادة كبيرة اصبح من الضروري معها الاعتماد على وسيلة اخرى غير الذاكرة لتسجيل ما يؤخذ و يعطى من المعبد . نجد ان الذاكرة لم تعد الوسيلة المناسبة لمعرفة ما أدخل و ما اخرج من مواد ، و من هنا اقتضت الضرورة توثيق ذلك بتسجيل اعداد المواد كأن يوضع خط واحد لكل سلعة او مادة واحدة ، ثم تطور الى رسم صورة الشيء المراد الى جانب عدده كأن يكون رأس ماشية محدد و بجانبه عدد من الخطوط تمثل عدد رؤوس الماشية المراد تدوينها ، و بهذه الطريقة ظهرت اقدم الالواح المدونة و التي سميت بالألواح الصورية ، لأنها تحمل صورة الشيء المراد تدوينه ، و ظهرت أولى هذه الالواح في موقع مدينة الوركاء (في محافظة المثنى) و تحديد في دور الوركاء المتأخر الطبقة الرابعة أ وكذلك في الطبقة الثالثة التي تأتي فوقها و يعود تاريخ هاتين الطبقتين الى الحقبة الزمنية الممتدة ما بين عامي ٣٣٠٠ – ٢٩٠٠ ق.م. .

نظرية نشوء الكتابة

في عام ١٩٧٥م. تقريبا ظهرت نظرية عن اختراع الكتابة و قد طرحتها باحثة امريكية تدعى (دنيس شماندت بسرات) و توصلت الى ان عمليات التنقيب في كل المواقع الاثارية في الشرق الادنى تقريبا و التي يعود تاريخها الى ما بين الالفين التاسع و الرابع قبل الميلاد كشفت عن وجود قطع طينية صغيرة بحجوم هندسية مختلفة و سمتها (Tokens) ، الرموز و افترضت ان هذه الرموز استعملت سجلات حفظ للشؤون المنزلية و الاعمال العامة ، كانت هذه الرموز تحفظ متفرقة ، و لكن في صناديق او سلال او تثقب و تشد بخيط معا ، ثم اخذت تحفظ لاحقا في كرات طينية مجوفة و مغلقة ، و لم يكن بالإمكان معرفة ما بداخل هذه الكرات الا بكسرها بالطبع ، و اصبحت في ازمان لاحقة تختم بعدد الرموز الموجودة في داخلها ، و بمرور الزمن أخذ بتسجيل وصف لما في الداخل على الكرة الطينية بحيث اصبحت هذه الكرات الواحاً كتابية و هكذا تطورت الكتابة عن طريق ايجاد علامات تشرح ما رمزت اليه تلك الرموز الموجودة داخل الجرة .

و لقد ثبت صحة هذه النظرية من خلال دراسة الباحثة للرموز التي عثر عليها في موقع مدينة اوروك (الوركاء) .

من هم السومريون ؟

تتم دراسة أصل الشعوب و تجذيرها اعتمادا على عدة امور ، منها اللغة الناطقة بها تللك الشعوب ، فعلى سبيل المثال ان الاقوام الاكدية التي استوطنت العراق القديم بشقيها البابلي في وسط و جنوب العراق و الاشوري في شمال العراق ارجع العلماء اصلها الى الاقوام الجزيرية التي عاشت في الجزيرة العربية ثم هاجرت الى مناطق مختلفة في بلاد الرافدين و الشام و غيرها ، و ذلك استنادا الى اللغة الاكدية التي كانوا يتكلمون بها و التي ارجعها الباحثين المختصين الى عائلة اللغات العاربة (العائلة اللغوية تضم مجموعة من اللغات المتقاربة ذات الاصل المشترك) .

الا ان اللغة السومرية لم يعثر لحد الان على اي لغة مقاربة لها او تندرج ضمن عائلة لغوية مشابهة ، و هو ما عرف لدى الباحثين بـ (المشكلة السومرية) .

من هم السومريون ؟ و ما هي النظريات التي طرحت في اصلهم ؟

تفترض بعض الآراء ان السومريون هم من الاقوام التي هاجرت في ازمان سحيقة الى مناطق مختلفة منها شمال بلاد الرافدين ، فهل هم من سكان بلاد الرافدين الاصليين الذين اقاموا اقدم القرى الزراعية في شمال البلاد في قرى نمريك و جرمو و حسونة و سامراء و انهم نزحوا الى الجنوب بعد ان توفرت لهم اسباب العيش هناك . من المعروف ان القسم الجنوبي من بلاد الرافدين و تحديدا من حدود مدينة نيبور (نفر في محافظة القادسية) الى اقصى جنوب الاراضي العراقية .

و تعتبر هذه النظرية حاليا من الآراء المقبولة لدى الباحثين .

– أو انهم هاجروا من بلدان اخرى فهنالك بعض الباحثين من يرى انهم نزحوا في الاصل من وادي السند الذي ازدهرت فيه حضارة هربا و موهنجدارو ، استنادا الى وجود قطع اثرية تعود لهذين الحضارتين في المواقع السومرية جنوب البلاد .

فيما يرى باحثين اخرين انهم هاجروا من مكان و دلمون في الخليج العربي استنادا الى وجود اسم هذين المدينتين في الادب السومري . .

– أو انهم نزحوا من المناطق الجبلية الى استنادا الى الزقورات التي قاموا ببنائها في وسط و جنوب العراق و التي مثلت في فنونهم . .

و يمكن الرد على هاتين النظريتين بأن السومريون مارسوا التجارة منذ عصر الوركاء مع هذه المناطق ومن الطبيعي ان يكون هنالك مواد متبادلة . .

– نظرية قديمة لكن اعيد طرحها بقوة استنادا الى الدراسات اللغوية تذكر ان اللغة السومرية هي البدايات الاولى للغة الاكدية و بالتالي تطرح الشك حول اصل السومريين ، للمزيد :

أ.د.نائل حنون ، حقيقة السومريين ، (دمشق ، ٢٠٠٧) ص ٤١

اللغة السومرية هي احدى اللغتين التي استعملتا في العراق القديم انحسرت لتفتح المجال امام الثانية (و هي اللغة الاكدية) لتسود خلال عصور حضارة بلاد الرافدين منذ بداية الالف الثاني قبل الميلاد تقريبا و هي اقدم لغة مدونة في العراق اذ اتضحت هويتها منذ ان بدأت النصوص المسمارية الاولى تخرج من مرحلة الكتابة الصورية الى مرحلة التعبيرية خلال عصر جمدة نصر مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد ، آنذاك ظهرت بدايات اللغة السومرية المدونة و كانت اللغة الوحيدة المدونة بالخط المسماري حتى اقتباس الخط المسماري في تدوين اللغة الاكدية في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد .

أطلق عليها اللغة السومرية استناد الى السومريين اصحاب هذه اللغة و الذين حازوا لقبهم ذا استنادا الى لقب (بلاد سومر و أكد) . .

ان توالي الالاف السنين على بلاد الرافدين و ما تعرضت له من غزوات اجنبية ادى الى اندثار حضارة السومريين و نسيان اسمهم و مدنهم ، الا ان التنقيبات العلمية التي جرت بعد ذلك ادت الى اعادة الكشف عن اسمهم و عن حضارتهم التي عدت اعرق حضارة عرفتها البشرية .

اكتشاف اللغة السومرية

أنشغل العلماء منذ بدايات القرن الثامن عشر بحل رموز اللغة الاشورية التي عثر على نصوصها في شمال العراق في العواصم الاشورية (لذلك سمي هذا العلم بعلم الاشوريات) ، و كان العالم (ادوارد هنكس) في عام (١٨٥٠) توقع وجود لغة اقدم من اللغة الاشورية

و اطلق عليها بالتعاون مع العالم (هنري رولنصن) تسمية (السكيثية البابلية) و هي تسمية خاطئة ، اكتشف العالمان اللغة السومرية و لكنهما اخطئا في تسميتها و في عام (١٨٦٩ م) تمكن العالم (يوليس أوبرت) من اطلاق التسمية الصحيحة على هذه اللغة أثناء محاضرة علمية في الجمعية الفرنسية للمسكوكات أذ أعلن ان الكتابة المسمارية أستخدمت في تدوين لغتين في العراق القديم هما الجزيرية (الاكدية بشقيها البابلي و الاشوري) و لغة اخرى أطلق عليها اللغة السومرية استنادا الى لقب (ملك سومر و أكد) الذي تلقب به ملوك بلاد الرافدين فأقترح ان يكون اسم (سومر) مناسبا ليطلق على اللغة الاخرى من لغتي بلاد الرافدين القديمة ، و كان الباحث موفقا في طرحه هذا .

و بهذا عاد اسم السومريين للظهور من جديد بعد ان طواهم النسيان لألاف السنيين و مما عزز هذا الاكتشاف هو العثور على الالاف النصوص المسمارية المدونة باللغة السومرية في مدينة لجش (الاسم الحديث لها تلو في محافظة ذي قار) خلال تنقيبات البعثة الفرنسية هناك عام ١٨٧٧ م. ، و ما تلتله من تنقيبات في المدن السومرية التي تقع في وسط و جنوب العراق مثل نيبور و شروباك .